مجلة دراسات إنسانية واجتماعية / جامعة وهران02/ المجلد 13 ع 02.
ISNN : 2253-0592 EISSN : 2588-199X / Prefix: 10.46315

الحجاج عند طه عبد الرحمن الأسس والمنطلقات

The concept of accountability between Michel Mayer and Taha Abdel Rahman

جلول قوراري عمارة Gourari Amara Djelloul * d.gourariamara@univ-chlef.dz	فلسفة	جامعة وهران2 محمد بن أحمد / الجزائر وحدة البحث: URSH
أ.د بوكرلدة الزواوي pr. Boukralda Zouaoui zouaoui63@yahoo.fr	فلسفة	جامعة وهران2 محمد بن أحمد / الجزائر
ORCID: /		

DOI : 10.46315/1714-013-002-007

الإرسال: 2024/02/29 **القبول**: 2024/04/21 **النشر**: 2024/04/16

ملخص:

أصبح من نافلة القول إن الحجاج صنيعة إنسانية خلقت معنا إذ يعد الحجاج وامتلاك الحجة أساسا وركيزة تبرر وجودنا الإنساني، فالتفاعل الذي يكون بيننا، إنْ تبادلاً للتأثير أو تناقلا للتغيير، يعتمد على المحاجة لا على البرهان لارتكازه على اللغة الطبيعية لا اللغة الصناعية، من هذا المنطلق أردنا أن نتناول طرح المفكر طه عبد الرحمن لمفهوم الحجاج كمفهوم يبتغي اعتماده كوسيلة وأسلوب كتابة، وكذا التداوليةَ منهجا للبحث والكتابة والإبداع الفلسفي بتسليط الضوء على هذا المفهوم في الثقافة العربية الإسلامية عند طه عبد الرحمن كنموذج بعدما شاع هذا المفهوم وازدهرت دراسته مع بروز اللسانيات الحديثة، ونظرية الأفعال الكلامية في الفلسفة الغربية، وكذا المنعطف اللغوي الذي عرفته الفلسفة المعاصرة، ومنه أردنا في هذه المقالة أن نبرز الغرض من توظيف الحجاج وأساليبه عند طه عبد الرحمن كوسيلة لتحصيل هدف عزيز المبتغى والمرام ألا وهو القراءة الحجاجية التداولية للتراث، والكشف عن آليات الإبداع في تراث الأمة، وكفية تشغيلها لتأسيس حداثة عربية إسلامية.

كلمات مفتاحية: الحجاج؛ الحداثة؛ التداولية؛ التراث؛ التواصل؛ التفاعل؛ التأثير.

Abstract:

It goes without saying that the process of questioning and asking questions is a human artifact that was created with us, as questioning and having an answer is a basic pillar that justifies the map of our human existence. The interaction between us, whether it is an exchange of influence or a transfer of change, depends on the process of questioning and answering as two main pillars of communication and interaction between us in a social environment and a cultural and human space. From this point of view, we wanted to discover new angles of view to approach an important and distinct concept in the intellectual life of man in general, namely the concept of the question and how it is present in our intellectual and cultural life by referring to two distinguished students of this concept, a Western thinker, Michel Meyer, and an Arab-Islamic thinker, Taha Abdel Rahman, each with his cultural drink and his emotional taste and his different cognitive approach to the same concept, namely the concept of the question.

Keywords: Question; The Answer; Accountability; Responsibility; Speech.

* - الباحث المُرسل: d.gourariamara@univ-chlef.dz

1- مقدمة:

سمعنا غير قليل وقرأنا غير قليل عن تخلفنا الفكري والحضاري، وكل حاول الإجابة عن سبب تخلفنا الفكري، هذا التخلف الذي يظهر جليا في العجز عن صناعة المفاهيم وإبداعها عجزا عزز الشعور بالتيه الفكري الذي يعيشه العالم العربي والإسلامي، هذا التيه الذي بلغ أشده مع توارد المفاهيم التي تنتجها الحداثة الغربية التي لا تلبث أن تتكاثف محدثة إغراقا مفاهيميا، وعدم قدرة على القراءة والمواكبة لهذا التوارد السريع كل هذا أدى إلى كيل الاتهامات المجانية بعضنا لبعض والتشكيك في قدرة الإنسان العربي المسلم الفكرية وحتى اللغوية واعتباره عاجزا فكريا ولغويا وفي مرتبة أدنى من أن يرتقي إلى رتبة الفكر والفلسفة في الحضارة الغربية الحديثة والمساهمة بالتالي في حضارة العصر العالمية، وكذا كيل الاتهامات للتراث العربي الإسلامي والمناداة بضرورة القطيعة معه كشرط للدخول في الحداثة واعتباره عائقا أمام الفكر والإبداع، هنا نقف متسائلين كيف نجابه هذه التحديات التي تفرض علينا جميعا؟ إما أن نكون داخل صيرورة الفكر وبالتالي داخل التاريخ، وإما خارج صيرورة الفكر، وبالتالي خارج التاريخ، إما أن نجيب عن أسئلة العصر من داخل فضائنا الثقافي والحضاري كهوية متميزة فنستحق بذلك الحياة وإما أن نلجأ إلى أجوبة جاهزة من خارج كياننا الحضاري فنستحق بذلك الاندثار والذوبان في معترك الثقافات والهويات الأخرى.

فحري بنا مجابهة ما يصلنا ويفد إلينا من مفاهيم غربية بالحجة والدليل والفكر المبدع أي مجابهة ورد فكري بامتياز وليست مجابهة ورد مادي، هذا الرد الفكري حاول طه عبد الرحمن التأسيس له في العالم العربي والإسلامي بتثبيت بنيانه عن طريق تشغيل آلياته الفكرية وترسيخها كآليات فكرية منتجة لا تلبث تجدد نفسها وتساير وضعها وزمانها فكيف يوظف طه عبد الرحمن آليات الفكر العربي الإسلامي الحجاجية في الإجابة عن أسئلة العصر ومواجهتها والتأسيس لحداثة إسلامية؟

2-مقاربة طه عبد الرحمن لمفهومه الحجاج:

1-1دراسة في مصطلح الحجاج:

نجد في معاجم اللغة العربية أن الحجاج لغة كما يلي:

"يقال حاججته، أحاججه حجاجا حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... والحجة البرهان وقيل الحجة ما دافع به الخصم، وقال الزهري الحجة هي الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة وهو رجل محاجج، أي جدل والحديث فحجّ آدم موسى أي الأغلبية أي غلبه بالحجة" (ابن منظور، 1999، الصفحات 226-228).

نجد ابن منظور هنا يشير إلى معنى الغلبة كمعنى بارز، لمصطلح الحجاج وكذا معنى الدفاع عن رأي أو أطروحة أو فكرة دفاع الخصم أو الغير وكذا معنى الجدل والاعتراض بالسؤال والنقد والتقييم.

أما في مقاييس اللغة لابن فارس فإننا نجد مادة حجج لها أربعة معاني:

الأصل الأول: القصد وكل قصد حج ...ثم اختصر بهذا الاسم القصد إلى بيت الله الحرام للنسك.

الأصل الثاني: الحجة وهي السنة، ويمكن أن يجمع هذا الأصل إلى الأصل الأول وهو الحج إلى بيت الله الحرام لأن الحج إلى البيت لا يكون في السنة إلا مرة واحدة.

الأصل الثالث: الحجاج، وهو العظم المستدير حول العين أي البارز من العين أو الغالب وزعم أبو عمر أنه يقال للمكان المتكاهف من الصخرة حجاج.

الأصل الرابع: الحجحجة النكوص، يقال حملوا علينا ثم حجحجوا، والمحجحج العاجز ... ويقال أنا لا أحجحج في كذا أي لا أشك" (ابن فارس، 1979، صفحة 229)

نجد ابن الفارس في الأصل الثاني يشير إلى معنى القصد؛ وهو التوجه إلى مكان ما أو شيء ما أو التوجه إلى الغير أو الآخر، وإن كان في الأصل هو التوجه إلى البيت الحرام، والحجاج يكون موجه إلى الغير حسب الحاجة لقضاء حاجة معينة لا تزيد عن هذه الحاجة المبتغاة وإلا تحول الحجاج هدرا وتحول إلى لغة الخشب ومنه فالاقتصاد في الطلب وعدم مجاوزة حد معين حسب الحاجة فيكون الحجاج حسب الحاجة وهو نفس الأصل للكلمة وللجذر اللغوي الحجاج الحاجة.

مما أوردنا سابقا يتبين لنا أن مفهوم الحجاج في اللسان العربي يرتكز حول ركيزة أساسية ألا وهي دافع الحجاج أو حافز الحجاج وهو التفاعل الحواري والتنازع الفكري بالأدلة حول موضوع ما نتيجة الاختلاف في الرؤى وطرق الاستدلال وكذا نتيجة أن العقل البشري يجنح دائما إلى البحث عن الدليل والاستدلال على موضوع يهمه قبل أن يقتنع به أو يعتقده ويسلم به، استدل ثم اعتقِدْ، ولا تعتقد ثم تستدل فتضل، هذه مسلمة تعمل بمثابة قانون يمشى عليه المستدل وينسج خطواته الفكرية على منواله.

قلنا بأن الحجاج ينتج عن الاختلاف والمنازعة، والاختلاف هو بدوره محفز على التفاعل ولا يحدث التفاعل إلا بحجة "فكل حجة قائمة على نقطة خلاف ظاهرة، أو مضمرة، والحجة هي مركب من مادة وصورة، فهي مركب لغوي مادته اللغة الطبيعية بجميع مستوياتها، وهي مركب منطقي منظوم في الوقت نفسه وفق مقتضى المنطق المناسب، مما منح اللغة وظيفتها في ممارسة الحجاج" (الشهري، 2015، صفحة 54).

إذا فالحجة مادتها اللغة الطبيعية وصورتها هي المنطق، وبالتالي فهذا ما يجعل من اللغة الطبيعية صالحة لممارسة الحجاج (الشهري، 2015، صفحة 54)، فالحجاج هو صفة كل دليل منضبط

بقوانين اللغة الطبيعية التي يدور في رحابها ويتأصل ويتوسل بآلياتها (إدريس، 2012، صفحة 6)، ومنه يرى طه عبد الرحمن أنه لا يمكن أن تصح أي معرفة عقلية دون منطق يضبطها ويقيها من الشذوذ والخروج عن إطارها وتأطيرها (عبد الرحمن، 2011، صفحة 55).

و من بين السمات الأساسية للحجاج إمكانية النقض التي لا تتوفر في البرهان الصناعي بل تعتبر ميزة خاصة بالحجاج، وسمة أخرى تتمثل في انبنائه على سلسلة من الحجج المرتبة بصفة جيدة (مقدم، 2017، الصفحات 631-633).

3-أسس ومنطلقات مقاربة مفهوم الحجاج عند طه عبد الرحمن:

إن منطلق الحجاج عند طه عبد الرحمن هو لتحديث القراءة لتتماشى مع الزمان الذي وجدنا فيه، فإن لكل عصر حداثته وقراءته وبالتالي يجب تجديد القراءة للعصر، وهي سنة الله في خلقه وإلا لما بعث الله لكل عصر نبيا، كان يكفينا نبي واحد وقراءة واحدة، بعث الله لكل عصر نبي لتحديث القراءة للعصر لأجل تجديد المعرفة وتفجير الطاقة المعرفية، ومن أجل تجديد مفهوم اللغة، وتجديد مفهوم الحضارة حتى تصبح الحضارة مربوطة بالإسلام ومدركة به كهوية متميزة ولا تشرد عنه.

ومن مستجدات العصر الحالي الحداثة الغربية، فيجب وضع قراءة إسلامية لهذه الحداثة الغربية حسب طه عبد الرحمن. فكيف نشارك في الحداثة العالمية كعرب ومسلمين وفي نفس الوقت نحافظ على هويتنا فنبقى رغم حداثتنا متميزين بهويتنا العربية الإسلامية؟

وهنا يأتي الدور الذي ينبغي على الحجاج أن يلعبه كآلية لتجديد القراءة قراءة العصر ودفع الحجة بالحجة والدليل بالدليل، والإتيان بما هو أفضل وما يفوق الحداثة الغربية قيمة إجابة على منتجات الحداثة وأسئلتها وقراءتها قراءة إسلامية إرضاء للعقل الإسلامي عن طريق الاعتراض على المفاهيم والأفكار حتى تثبت بالعقل الصريح وادعاء أفكار ومفاهيم أخرى ننشئها عقليا ومنطقيا وهذين الفعلين أي الاعتراض والادعاء من صميم فعل الحجاج وأساليبه، فنحن لا نستطيع أن نجابه فكريا ونخوض غمار الحداثة دون أن نعترض على دعاوى الغير وننشأ ادعاءاتنا الخاصة.

يرى طه عبد الرحمن أنه لا مجال لإنكار ما يكابده المجتمع المسلم من التحديات المعنوية مقدار ما يكابده من التحديات المادية، معتبرا أن ما يتصدر هذه التحديات المعنوية هو هذا التيه الفكري المتمثل في فتنة مفهومية كبرى يفتقد المسلم فيها إلى كيفية الخروج منها، إذ يتخبط في مغاليق ومتاهات كثرة متكاثرة من المفاهيم التي تنتجها المجتمعات الأخرى بحيث لا طاقة له على استيعابها ولا على صرفها ضمن غياب آليات إبداع مفاهيمه الخاصة أو إعادة إبداع مفاهيم غيره (عبد الرحمن ط، 2006، صفحة 11).

إذن، وجب على المجتمع الإسلامي، حسب طه عبد الرحمن، وضع آليات إبداع مفاهيمه الخاصة لمواجهة أسئلة الحداثة المتدفقة كنهر منهمر تؤدي إلى الإغراق الفكري والمفاهيمي كما تؤدي إلى الاستتباع وعدم القدرة على المواجهة.

المسلم إذا قدره أنه فيلسوف في المواجهة الفكرية لكي يجابه الحداثة ويسايرها بقراءة محدثة محينة ويناظرها بما هو مكافئ لإبداعاتها المفاهيمية أو يتفوق عليها ويجيب عن أسئلتها وتحدياتها ثم يأتي بخير منها وأفضل منها، باعتبار أن الحداثيين لغة هم الذين يتولون مسؤولية وقتهم، هم حديثو العصر، حيث يشير الجذر الذي اشتق منه المصطلح "حدث" إلى مفهوم الإثبات في الوقت والحدث كظاهرة جديدة، ومن هنا جاء معنى "الجديد" الذي يعطى لمصطلح الحديث (حديث عكس قديم)، ومن هنا ينتج هذا المعنى: أن تكون حديثا حقا هو أن تقود هذا الوقت الجديد وأن تخلق إثباتا له (Hallaq, 2019, p. 78) الحداثة تتمثل في قيام أي أمة لتحمل واجب الوفاء بالتزامات العصر بما يجعلها تتحمل مسؤولية عصرها من دون غيرها، وتقع على عاتقها مسؤولية تحمل هذه الالتزامات لغرض التحقيق الكامل للإنسانية باختصار أمة تتولى واجباتها العمرية (الرحمن، 2007، صفحة 20).

لكن كيف نواجه أسئلة الحداثة وتحدياتها الفكرية والمفاهيمية حجاجيا؟

يجيب طه عبد الرحمن عن هذا التساؤل كالآتي:

أولا: بتشغيل آليات إبداع مفاهيمنا الخاصة عن طريق الحجاج بأن نأتي بما يضاهي أقوال الغرب ومفاهيمه والتفوق عليه، تفوقا في إبداع الحجج بأشكال مختلفة، وداخل صور لا حصر لها.

ثانيا: أن نأتي بما نستشكله نحن من مفاهيم باعتبار أننا مفكرون أحرار، لنا مقوماتنا من واقعنا وكينونتنا وتراثنا وهويتنا (أرحيله، 2013، صفحة 22).

يقول طه عبد الرحمن: " وقد كررت في كتبي القول بأن الحداثة ليست هي تقليد الغير في قوله وفعله، وإنما الإتيان بما يضاهي ما عند الغير، إنتاجا وإبداعا، وأظن أنني سعيت في كتبي المختلفة إلى أن أكون حداثيا بهذا المعنى، حيث إني اجتهدت في الكشف عن أسباب الفعل المبدع، بل إن مشروعي كله يدور على هذا الغرض، الذي أعبر عنه بقولي، وهو إقدار العربي على التفلسف" (الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، 2011، صفحة 45).

وبما أن الحداثة عند طه عبد الرحمن تعني الإبداع أي تحصيل وكسب وحيازة القدرة على إبداع المفاهيم من داخل هويتنا الثقافية المتميزة فإنه لا سبيل إلى هذه الغاية إلا بتأسيس فلسفة عربية إسلامية متميزة عن الفلسفة الغربية، ومن أجل ذلك جعل طه عبد الرحمن الحجاج المتضمن لدور الادعاء والاعتراض كوسيلة لخدمة مشروعه الكبير والمعلن في تعريب الفلسفة وجعل الفلسفة تتحدث باللسان العربي وتحرير القول الفلسفي من التبعية للسان الغير وأفكار الغير.

جعل طه عبد الرحمن مفهوم الحجاج يؤدي دور الكتابة الفلسفية العربية أي الادعاء الفلسفي كما يؤدي دور النقد والاعتراض أي الاعتراض الفلسفي على الحداثة الغربية، الاعتراض هو مواجهة الحجة بالحجة لهذا نجده يعطي عدة مفاهيم أو كثرة متكاثرة من المفاهيم لمفهوم واحد هو الحجاج على حسب الوظيفة التي يؤديها أو المهمة التي يتصدى لها في خضم المقارعة والتفاعل مع الغير.

أولا: في مقام الاعتراض ودفع الحجة بالحجة يكون الحجاج حسب طه عبد الرحمن : "هو كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها" (عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، 2006، صفحة 226).

ثانيا: أما في مقام إقدار العربي على الكتابة والتفلسف وادعاء وإبداع مفاهيمه الخاصة به يكون الحجاج حسب طه عبد الرحمن، فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب اختبارية وتوجيهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية إنشاءً موجها بقدر الحاجة (الرحمن، أصول الحوار و تجديد علم الكلام، 2000، صفحة 65).

يطلع الحجاج هنا بمهمة تجديد المعارف وتجديد اللغة وتجديد قراءتنا للعصر وتفجير الطاقة المعرفية بحسب الزمان الذي نعيش فيه، أو يتولى الحجاج في هذا المقام مواجهة أسئلة الحداثة بتحيين المعارف حسب الظروف وحسب التوجهات، ويواصل طه عبد الرحمن شرح مفهوم الحجاج فيقول:" وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة كأن تبنى الانتقالات فيه، لا على صور القضايا وحدها كما شأن صور البرهان، بل هذه الصور أي صور القضايا مجتمعة إلى مضامينها أيما اجتماع (غير مجردة من المضمون، معرفة عملية وليست تجريدية) وأن يطوى في هذه الانتقالات الكثير من المقدمات والكثير من النتائج، وأن يفهم المتكلم المخاطب معاني غير تلك التي نطق بها (الاعتماد على الإشارة) تعويلا على قدرة المخاطب على استحضارها إثباتا أو إنكارا كلما انتسبا إلى مجال تداولي مشترك مع المتكلم، وكأن يعتمد فيها على صور استدلالية تأخذ بمبدأ التفاضل والتراتب وتجنح أحيانا إلى التناقض الذي تحس فيه خروجا عن حدود المعقول (الرحمن، أصول الحوار و تجديد علم الكلام، 2000، صفحة 65).

إذاً فآلية الحجاج الإنتاجية هنا التي يعول عليها في إنتاج الأطاريح الخاصة بالمجال التداولي العربي الإسلامي، هي قدرته على تحريك الجانب الإشاري من الكلام الذي فيه يطوى عالم اللغة وإمكانياتها التخليقية كلها إذ لا دلالة بلا تداولية والتداولية مأخوذة من مفهوم الجماعة والاجتماعية أي اجتماعية المعرفة، ذلك أنه مهما عملنا وتوسلنا (من الوسيلة) فإن المعرفة لا تنتج وتثمر إلا في المجتمع الذي أنتجت فيه.

ثالثا: مقام التواصل مع الغير والاحتكاك الفكري به، يكون الحجاج هنا تفاعلا يقول طه عبد الرحمن: "كلما وقفنا على لفظ الحجاج تسارعت إلى الأذهان دلالته على معنى التفاعل حتى إن ما سواه من مظاهر التفاعل، إن تبادلاً للتأثير أو تناقلا للتغيير أو ترابطا وظيفيا أو حتى تجاوبا وجدانيا، تبدو لنا موضوعة على قوانينه ومفهومة على مقتضاه، أو قل إن الحجاج أصل في كل تفاعل، كائنا ما كان" (عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، 2006، صفحة 229).

إذاً فالحجاج في مقام التواصل مع الغير أو الآخر والاحتكاك معه هو التفاعل والمفاعلة حسب طه عبد الرحمن، ولذا وجب توسيع الاستدلال المنطقي ليشمل نواحي حياتية فكرية حوارية لم يكن من الممكن مسايرة تمفصلاتها وكذا تمظهراتها وتعقيداتها الإنسانية الوجودية بمنطق برهاني علمي آلي صناعي إلا بمنطق مرن طبيعي يستخدم اللغة الطبيعية، هو المنطق الحجاجي الذي يتكيف مع أسلوب المحاورة والمناقشة والتواصل الفكري والنقاشات والتحليلات، منطق الفعل والتفاعل والتأثير والتأثر الذي تحس أنك جزأ منه وليس منفصلا عنك، ولهذا فهو يحفز على الفعل وعلى الإنهاض للفعل، يستخدم طه عبد الرحمن الحجاج نظرا لطابعه التوسيعي فهو ينشد توسيع الاستدلال وعدم حصره في آلية صناعية ضيقة كالبرهان المنطقي فالحجاج من حج الذي يفيد معنى القصد كما يفيد معنى الاستدلال في اللسان العربي كما وضحنا ذلك سابقا ولذا فإن طابع الحجاج التوسيعي يساعد في توسيع الاستدلال والإبداع الفلسفي للمفاهيم على عكس البرهان.

إذاً فلا مخرج من مغاليق الإنسان العربي وتيهه في فتنة مفهومية كبرى يعيشها نتيجة عجزه عن إنتاج مفاهيمه الخاصة به لمواجهة المفاهيم الحداثية الغربية إلا بالاعتماد على الآلة، آلته التي تنتج المفاهيم والأطاريح المأصولة أو المنحولة الخاصة به، ألا وهي الحجاجية التداولية، إذ لا دلالة بلا تداولية وكذا ممارسة فعل التأصيل والتجذير للمفاهيم بإعادة الوصل مع التراث العربي الإسلامي التأصيل والتجذير والتأثيل للمفاهييم الذي هو ليس أكثر من الوصل بالأصل وعدم الانقطاع والشرود عنه، يقول أبو الهلال العسكري الحجة هي "الاستقامة في النظر والمضي فيه على سَنَنٍ مستقيم من رد الفرع إلى الأصل وهي مأخوذة من المحجة وهي الطريق المستقيم" (العسكري، د ت، صفحة 70).

وقد نحا طه عبد الرحمن في منهجه الإبداعي والفكري منحى التداولية الحجاجية وعلى المنهج التداولي عامة وفرعها التقريب التداولي. يقول طه عبد الرحمن في هذا الصدد "وقد استفدنا بدورنا من الجانب التداولي في الدرس الفلسفي والكلامي، وساهمنا في وضع قواعد تداولية لهذا الخطاب الفكري، وخرجنا فيه بنتائج بلغت من التخصيص والتدقيق درجة لا يمكن أن يؤدي إليها المنهج التاريخي الذي غلب على الدرس التراثي الإسلامي العربي وما أثبتناه من مبادئ المنطق الكلامي ومن

قوانين المعاقلة شاهد كاف على هذا الضبط والتحقيق في تناول هذا التراث" (الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، 2011، صفحة 78).

وحتى تشتغل هذه التداولية الحجاجية يجب على الفلسفة العربية أن تنتقل من التفكير بواسطة اللغة إلى التفكير في اللغة في حد ذاتها أي التفكير من داخل اللغة العربية وليس من خارجها أي التفكير من داخل المجال التداولي العربي وليس خارجه، وبالتالي لا أمل لأي إبداع من خارج المنظومة اللغوية التي ينتمي إليها المتفلسف يقول طه عبد الرحمن "على الفيلسوف، قبل أن يتجه باجتهاده إلى التوعية بقدرة لغته الفكرية أن يميز لغته عما ليس من لغته، أو يتعارض ولغته عما هو لغو. ولغونا يظهر في التشويه الذي لحق أصول لغتنا وبناها وكبت فلسفتها... وعلى الفيلسوف العربي أن يخلصنا من هذا اللغو الذي حال دون تحررنا العقلي، ودون إبداعنا الفكري، وبهذا تكون رسالة الفيلسوف العربي رسالة لغوية من منطلقها." وبهذا كان مشروع طه عبد الرحمن منذ بدايته هو إزالة العوائق التي أوقفت الإبداع الفلسفي العربي قديما وحديثا وقتلت آلياته الإنتاجية ومنعتها من الاشتغال والعمل والإبداع ألا وهي الترجمة التي أحذت الفيلسوف العربي رهينة لأطرها الفكرية التي يعجز في أغلب الأحيان من استكناه كنه فحواها وربطها بما يشبهها أو يقاربها في تراثه، مما يوقعه في قطيعة تداولية تصده عن التفاعل مع محيطه القريب والبعيد بسبب عجزه عن الإبداع الحقيقي الذي قوامه اللغة والتداول في نهاية المطاف.

4-خاتمة:

اتخذ طه عبد الرحمن من الحجاج الذي يكون طابعه تداوليا وسيلة ومنهجا لإعادة قراءة التراث والوصل معه في مقابل من كان ينادي بالقطع معه كشرط للدخول إلى الحداثة ولكي نكون حداثيين بمعنى الكلمة.

لا يمكننا فهم الحجاج عند طه عبد الرحمن إلا في ضوء مشروعه الفلسفي الشامل كمشروع فكري مرتكز على إعادة قراءة التراث بمنهجية وآلية حجاجية تداولية مناسبة لمقاربة التراث العربي الإسلامي لارتباط المعرفة بآليات إنتاجها كنوع من إثبات وإبراز معقولية التراث العربي والإسلامي والرد على دعوى القطيعة مع التراث كشرط لدخول الحداثة بحجة عقمه وعدم معقوليته وإثبات أن المعرفة التراثية مرتبطة بآليات إنتاجها ارتباطا عضويا وهي آليات يغلب عليها الطابع العملي وليس الطابع النظري الذي يغلب على التراث المعرفي الغربي، وهذه الدعوى التي ظهرت، كانت بسبب فشل الفكر الإسلامي المعاصر في قراءة التراث واستيعابه كنتيجة لافتقاره إلى منهجية مناسبة وبنية فكرية مستقلة، وهذا بدوره عائد كنتيجة للقبول غير الناقد للآليات الفكرية للحداثة الغربية بحذافيرها دون محاججتها وكذا مساءلتها وفحصها بمنهج فكري مستقل وبنية فكرية مستقلة (أمكور، 2021، صفحة 4).

تشعب البحث في الخطاب الحجاجي عند طه عبد الرحمن وتشعب الحديث حوله، لكن في مجمل القول يمكننا أن نقول إنه ما دام الخطاب الفلسفي خطابا طبيعيا فمن البديهي أن يميل البحث إلى منهج الاستدلال الطبيعي الحجاجي. إن حقيقة الاستدلال في الخطاب هو أن يكون حجاجيا لا برهانيا، وبالتالي فقد تجاوز طه عبد الرحمن البرهان الصناعي وسعى إلى تأصيل خطاب تداولي طبيعي، فاستثمر ما يزخر به التراث الإسلامي من أساليب البحث في آليات الخطاب وطرق التدليل المتنوعة، هذا المنهج الاستدلالي الطبيعي الذي يعتمد على الحجاج القائم على التداولية والمنهج التداولي، جعل منه يصب في مجال دراسة البنية الاستدلالية للنص التراثي فاستثمره بالتالي في مشروعه المعلن ألا وهو إعادة قراءة التراث بمنهج حجاجي تداولي (الحمري، 2018، صفحة 125).

نجد أن طه عبد الرحمن وظف الحجاج في إعادة قراءة التراث العربي والإسلامي قراءة حجاجية تداولية تثبت معقوليته قصد محاولة إحيائه وبعثة والوصل معه وصلا بالأصل والهوية المتميزة والفريدة التي لا تذوب وسط الثقافات والحضارات والحداثات، كما أنه استعمل الحجاج في الرد على الحداثة والإجابة على أسئلتها، وأخيرا توج الحجاج باطلاعه لمهمة إحياء فلسفة عربية إسلامية وإقدار العربي على التفلسف الذي لا يمكن أن يتحقق إلا من داخل لغته العربية، وهذه النظرة الفلسفية لطه عبد الرحمن ترجع إلى تأثره بالمنعطف اللغوي الذي حدث في الفلسفة المعاصرة ويتمثل هذا المنعطف في الانتقال من التفكير بواسطة اللغة إلى التفكير في اللغة في حد ذاتها باعتبار أن اللغة تستعيد الواقع وتبني العالم عالمنا الذي نعيشه.

**

5- المصادر والمراجع:

1- المصادر.

ابن فارس. (1979). *مقاييس اللغة*. القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر.

ابن منظور. (1999). *لسان العرب* (الإصدار 3، المجلد 2). بيروت: دار احياء التراث العربي.

أبو الهلال العسكري. (د ت). *الفروق اللغوية*. القاهرة : دار الثقافة والعلم.

طه عبد الرحمن. (2000). *أصول الحوار وتجديد علم الكلام* (الإصدار 2). المغرب: المركز الثقافي العربي.

طه عبد الرحمن. (2006). *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي* (الإصدار 2). المغرب: المركز الثقافي العربي.

طه عبد الرحمن. (2007). *الحداثة والمقاومة* (الإصدار 1). لبنان: معهد المعارف الحكمية.

طه عبد الرحمن. (2011). *حوارات من أجل المستقبل* (الإصدار 1). بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

طه عبد الرحمن. (2011). *حوارات من أجل المستقبل* (الإصدار 1). بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

طه عبد الرحمن (2006). *روح الحداثة، المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية*. بيروت: بمركز الثقافي العربي.

عباس أرحيله. (2013). *فيلسوف في المواجهه* (الإصدار 1). الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

عبد الهادي بن ظافر الشهري. (2015). *الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية* (الإصدار 1). المملكة السعودية: الانتشار العربي للنشر.

غازي بن محمد إدريس. (2012). *القول الأصولي المالكي ومناهج الحجاج*. فاس، المغرب: الرابطة المحمدية للعلماء.

2- المقالات.

فاطمة مقدم. (ديسمبر, 2017). الحجاج الفلسفي صورته المناظرة الإسلامية. *مجلة المدونة*.

عثمان أمكور. (2021). *إصلاح الحداثة الأخلاق والإنسان الجديد في فلسفة طه عبد الرحمن*. الكويت: حوار مركز نهوض للدراسات والبحوث مع المفكر وائل حلاق.

بدر الحمري. (2018). *بلاغة الحجاج في الخطاب النقدي الأخلاقي عند طه عبد الرحمن*. بيروت: مجلة الكلمة.

Hallaq, W. B. (2019). *Reforming modernity*. New york: columbia university press.